Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V:13, N°:2–2023, P.P :01-12

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 13، العدد 2- 2023 ، ص.ص: 01-12

نحو تأسيس فلسفة للعمل في خطاب الأنوار عند كانط

Towards establishing a philosophy of action in kant 's discourse of enlightenment

خيرة الوزاني

جامعة قاصدي مرباح ،ورقلة (الجزائر) louazani .khira@univ-ouargla.dz

تاريخ الاستلام : 2023/01/27 ؛ تاريخ القبول : 2023/02/11 ؛ تاريخ النشر : 2023/05/20

الملخص

لقد ركز خطاب الفيسلوف الألماني إمانويل كانط في مقالته الشهيرة ما التنوير على تأسيس فلسفة عملية حدد في طياتها مميزات إنسان الأنوار الذي قدمه في صورة لا تنفصل عن الجانب الممارساتي ،انطلاقا من تطبيق التربية الأخلاقية التي تحكمها الإرادة الخيرة في مجال التعاملات والعلاقات الاجتماعية إضافة إلى إعطاء الأولوية للمبادرة الفردية في نشر ثقافة العيش المشترك لتفعيل مواطنة عالمية وسلام دائم، لتكون هذه الفلسفة العملية درب آمن نحو عصر الحداثة والأنوار أين يُستعمل العقل الحر كتعبير عن ذات تعي حقوقها وتعرف متى تقوم بواجباتها ، ويتمركز هدفنا في الوقوف على تمظهرات هذه الفلسفة العملية في هذا الخطاب ، لكي نوضح مكانته في تاريخ الفلسفة .

الكلمات المفتاحية: : فلسفة العمل ، الأخلاق التسامح ، السلام، الحرية .

Abstract

The speech of the German philosopher Emmanuel Kant, in his famous article, What is the Enlightenment, focused on establishing a practical philosophy that identified the characteristics of the Enlightenment person, which he presented in an inseparable form from the practical side, based on the application of moral education governed by the good will in the field of transactions and social relations, in addition to Giving priority to individual initiative in spreading the culture of tolerance and coexistence to activate global citizenship and lasting peace, so that this practical philosophy would be a safe path towards the era of modernity and enlightenment, where the free mind is used as an expression of a self aware of its rights and knows when to perform its dutie,our goal is to stand on the manifestation of this discourse in order to clarify its place in the history of philosophy.

Keywords : work philosophy, ethics, tolerance, peace, freedom.

1.مقدمة:

لم يكن خطاب التنوير 1784 الذي كتبه كانط حدثا فكريا فقط لم تستطع الذاكرة الفسلفية تجاوزه كون استطاع تحديد مفهوم دقيق للتنوير ، بل إن المألة أهم بكثير من هذا كونه قام بقفزة نوعية نحو محاولة تأسيس فلسفة عملية تشتغل على تحديد مميزات عقل الأنوار من خلال اختزال روح الأنوار في الإرادة والحرية ، مع محاولة الخروج بهاذين المطلبين من حدود الخصوصية الضيقة إلى رحابة فضاء الإنسانية تحت ما يصطلح عليه مبدأ الكونية هذه الأخيرة التي كانت حلما وهدفا رواد كانط في كل محاولاته الفكرية سواء فيما تعلق بتاريخ الابستمولوجيا ، الفلسفة الأخلاقية أو فكرة مشروع السلام الدائم والمواطنة العالمية .

خطاب الأنوار أفق للعمل بوصفه طريقا آمن بإمكان الإنسانية أن تسلكه لتبلغ عصر التنوير والحداثة، إذ يمكن للإنسانية أن تسلك هذا الطريق في أي لحظة فالأمر مرهون بمدى وعيها بالرهانات المهمة التي ترتبط بضرورة المبادرة والإقدام على اتخاذ هذه الخطوة الحاسمة والمصيرية التي يمكننا أن نصنفها كأرقى أرغانون في تاريخ البشرية .

لقد كانت درجة الوعي عميقة جدا من كانط الفيلسوف عندما جعل بلوغ عصر التنوير مرهون بفعل الجرأة الذي يتخذه شعارا عاما يحكم عصر التنوير لأن الجرأة في حد ذاتها تختزل فلسفة عملية بأكملها ،وتجعل من بلوغه حق مشروع تؤمن به البشرية وتمارسه فعلا وكتابة.

إن تغيير المشهد العام لصورة التنوير كان نتيجة فهمه العميق لأزمة التنوير وكيف أنها تكمن في الوعي بالديناميكية التي تتضمنها هذه المسألة، بحيث أنها تفيد الفعل فهي لا تنفصل عن تفعيل وهذه المسائلة لا تنحصر في الجانب اللغوي للمفهوم بقدر ما هي موضعة له في إطار ممارساتي ،بمعنى بإمكان الأوضاع السائدة أن تتعدل و تتغير نحو كل ما هو أفضل عن طريق الإيمان بالفعل المؤسس والانتقالات التاريخية، دون أن يكون هذا منفصل عن الاعتراف بالمسؤولية الأخلاقية القائمة على روح التربية وثقافة المواطنة العالمية، مما يجعل القيمة العملية لحرية الإرادة وصورة الشعوب المستنيرة فكرا وممارسة التي ينادي بها خطاب الأنوار مهمة تكون الشعوب فيها

المسؤول الأول والمباشر، كل هذه المعطيات الفلسفية والتاريخية تقودنا **إلى محاولة البحث والتساؤل عن تمظهرات هذه الفلسفة العملية في أفق خطاب الأنوار ؟**

قد كان هدفنا من هذه الدراسة في الوقوف على تمظهرات الفلسفة العملية التي تضمنها خطاب الأنوار، ومن جهة أخرى تبيان وتوضيح قيمة ومكانة هذا الخطاب في تاريخ الفلسفة بصفة عامة والفلسفة المعاصرة بصفة خاصة ، وذلك بالكشف عن الخطوة الجريئة التي قام بها هذا الخطاب بتأسيس عصر الحداثة الفكرية القائمة على حرية العقل كفيصل بين العقل العمومي والخصوصي. وفي الوقت نفسه لم نتغافل أو نتجاوز المضامين والأبعاد التي كان لها الدور الكبير في وضع قاعدة متينة لفلسفة العمل التي جاءت منطلقة من الجرأة على استعمال العقل و تجاوز العوائق السيكولوجية المتمثلة في الجبن والخوف من أجل بلوغ عصر الأنوار والحداثة .كما لا تفوتنا الإشارة إلى محاولتنا في تحليل فكرة التاريخ الكوني كونه حدث بارز في طيات هذا الخطاب.

لما كان كل موضوع يتطلب منهج لدراسته فقد استلزم منا تفكيك حيثيات تمظهرات فلسفة العمل في خطاب الأنوار جملة من المناهج التي جاءت متكاملة فيما بينا من أجل القيام بهمة التحليل والتفكيك أولها المنهج التحليلي الذي مكننا من الوقوف على المضامين التي توحي بوجود فلسفة عملية في طيات هذا الخطاب .إضافة إلى المنهج التاريخ التي استعنا به لضرورة تمثلت في استحضار النصوص الفلسفية التي توجي بشكل صريح للدعوة التي قام بها خطاب الأنوار في تأسيس فلسفة عملية .كما وظفنا المنهج النقدي الذي رأيناه مناسبا لتوضيح الامتيازات الفكرية والفلسفية والعملية التي تضمنها الخطاب والتي لا نلمح لها أثرا في مشاريع التنوير المختلفة ولا الاجتهادات الفكرية الأخرى .

2. فلسفة العمل في خطاب الأنوار .

1.2 فلسفة العمل ومفهوم التنوير :

إن دلالة تحديد التنوير على أنه" هو خروج الإنسان من القصور الذي يرجع إليه هو ذاته "* (Immnanuel Kant, 2015, S. 05).هي بمثابة محاكمة يجريها كانط لإنسان اليوم والتي

انتهت باتهام الإنسان كونه سبب المأزق الذي يتخبط فيه ،هذا الحكم ليس تعسفا أو بصورة اعتباطية بل لأن الإنسان أخطأ طريقه عندما جعل من القصور والعجز حالة طبيعية و امتنع عن استعمال الملكة الطبيعية الموجودة، فالعجز والقصور يعبران عن عدم الرغبة وليس عن عدم القدرة **إذ** تُشكل هذه المحاكمة الجريئة من نوعها تبرير كاف ومشروع عن الأبعاد العملية المرجوة من هذا الخطاب فالإقدام على التحرر من الخلفيات السائدة بما في ذلك نمط التفكير هو من يجسد فلسفة الفعل التي تتمخض عنها نتائج في غاية الأهمية ، فالتنوير لم يغدو مجرد حقبة تاريخية بل صار مسألة بناء ذات مستقلة ومتحررة على نحو مماثل لأحداث الكهف الأفلاطوني الذي عبر لنا أن القيود ليس سوى ما يعتقد به العقل فيجعله يسير طريقة تفكيره ونظامه الحياتي ، فالوضع الذي يحلله كانط شبيه لدرجة كبيرة بهذه الأحداث ،كون هذا التحرر والخروج هو مسؤولية ملقاة على عاتق الإنسان كونه لم يترك لنفسه الفرصة بأن يختبر نمط تفكيره وطريقته في الفعل والاستجابة التي تدل على أنه هو المسؤول عن هذا العجز الذي أذنبه في حق نفسه لدرجة أنه جعله غير قادر على إعادة النظر في ذاته ليجد الحل في شخصه،عن هذا التوتر الذي يخترع إنسان اليوم يستلزم وضع ذاته في محك النقد الذي في نهاية المطاف سيصل إلى إبطال مفعول هذه العجز والقصور الذي وضعت الإنسان في زوايا ضيقة بعيدة عن حقيقته ذاته أو ما يمكن أن نصطلح عليه الاغتراب عن الذات، إن الحل الأمثل لهذا الوضع هو أن يسارع الإنسان في تغيير، هذا الأمر لا يحدث دفعة واحدة على شكل مفاجئ مثلما يحدث في الثورات بل الأمر يستلزم تربية عقلية ونقدية فإذا كانت الثورة كفيلة بوضع حد للاضطهاد الممارس من طرف سلطة معينة فإن استخدام العقل بطريقة صحيحة كفيلا أيضا بتغيير الوضع الراهن وحدوث التنوير.

2.2 العقل الحر شعار التنوير :

ما يلفت انتباه المتمعن لخطاب الأنوار هو تلك الضمانة التي يعرضها في صيغة الأمر التي تنص على التجرؤ على استعمال العمل وضرورة مغادرة ثقافة الوصاية في المسائل التي لا يجب أن ينوب عني فيها أحد" ***كن شجاعا واستخدم عقلك الخاص ،هذا شعار***

التنوير،(...) وإنه من أجل هذا التنوير الأمر لا يتطلب شيئا سوى الحرية بالضبط استعمال العقل العمومي في كل الميادين ،أما استعماله الخصوصي يمكن تقيده بصرامة دون أن يعرقل هذا عملية التنوير ، "فهي لا توحي على دلالة زمانية معينة فهي قادرة على أن تحدث في أي لحظة كون الأمر مرهون برغبة الذات وإرادتها ، كما يعبر المقصود المشار إليه في فعل الجرأة عن معنى فضفاض يصدق وينطبق على ميادين مختلفة " (إمانويل كانط، 1997، صفحة 142) ، *لا يمكن إنكار وتجاهل كمية الروح العملية التي يتشبع بها هذا الشعار كونه يعكس حاجة العقل إلى مراجعة حساباته بخصوص إعادة تسطير خارطة أولوياته خاصة فيما يتعلق بمصيره الوجودي وحقيقة كينونته، فمن المؤكد أن هذه الحكمة العملية ستنتج تغير جذري لعصر برمته ، تتمكن الإنسانية بموجبه دخول عتبة عصر الحداثة التي يبدو أنها حداثة الفكر لا حداثة المادة*، بل إن الحرية الفكرية هي الشرط والمطلب الأساسي في التحقق الفعلي لعصر التنوير ، ويفصل كانط في هذه المسألة بالتدقيق إن نلاحظ أنه ميز بين استخدامين لمفهوم الحرية أحدهما الاستخدام العلني للعقل في كل الأمور بوصفنا كائنات مفكرة ، هذا التحديد ينظره إليه على أنه هو من يدخل الإنسانية لعصر التنوير من أبوابه الواسعة ، ويقابله على الصعيد المفاهيمي والممارساتي أيضا الاستخدام الخاص أو الوظيفي للعقل ويقصد به تلك الحالات التي يستعمل فيها العقل عندما يكون يحتل قطب فاعلا أو وظيفة ما داخل المجتمع ، هنا تنشأ إشكالية الفصل في الإنسان الواحد بين المواطن وبين الموظف وهذا هو جوهر التنوير . فالقدرة على التميز بين النمطين من استخدام العقل هو انجاز كبير في حد ذاته لأنهه سيصنع إنسانية متنورة ،فكلما عرف وضع الحدود الفاصلة بين النوعين اللذان يشكلان ثنائية إمكانية دمجها لا تعتبر عائقا لحدوث التنوير من خلال الوعي بتربية الناشئة على ضرورة احترام حرية النقد والاستقلال الفكري وإبداء الرأي علنا حول العيوب والأخطاء التي تشوب مؤسسة ما، الطاعة التي يفرزها الانتماء الوظيفي ليسا مانعا للممارسة حرية التفكير النقدي أي أن طاعة القانون لا تلغي الحرية الفردية بل بالعكس تدعمها وتقويها طالما أن القوانين موجهة للإنسان بوصفه جزء لا يتجزأ من الهيكل العام للمجتمع في كل مجالاته ،فمثلما يجب على الضابط طاعة الأوامر من جهة أخرى يحق له أن يبدي رأيه في العيوب التي صادفته

في الخدمة الوطنية ليعرضها على الجمهور ليحكم عليها ،نفس الشيء بالنسبة لدافع الضرائب الملتزم يمكنه بعد تسديد كل ضرائبه أن يقول كل ما يراود عقله بصدد مسألة عدالة فرض الضرائب ومدى تناسبها وتوافقها مع الدخل الفردي .

3. البعد السيكولوجي في خطاب الأنوار :

1.3 تجاوز العوائق السيكولوجية كخطوة نحو فلسفة عملية:

تتوسع دائرة هذه الفلسفة العملية بوتيرة سريعة جدا لتدخل من باب جديد وفريد من نوعه لم نتعود عليه في محاولات كانط الفكرية ويتمثل هذا المدخل في إقحام الجانب السيكولوجي في هذه المحاكمة الفلسفية والتاريخية التي قام بها في خطاب الأنوار ،من خلال الحضور القوي الذي شهده مفهوما الخوف والكسل وان القدرة على تجاوزهما تمثل سمات أساسية لعصر التنوير كون خضوع الإنسان لعوائقه السيكولوجية تحرمه من التفكير في حقيقة ذاته مقوماتها ومتطلباتها ***"إن الجبن والكسل هما السبب الذي يجعل طائفة كبيرة من الناس يظلون عن طيب خاطر ،قاصرين طوال حياتهم، حتى بعد أن تكون الطبيعة قد حررتهم منذ مدة طويلة من كل قيادة خارجية ،والذي يجعل آخرين ينصبون أنفسهم بسهولة أوصياء عليه،كأن أجعل كتب يعبر عن فهمي وتفكيري نيابة عني ، أو أن أترك طبيب يحدد نظامي الغذائي، وأن يتمثل واعظ مرتبة ضميري نيابة عني".*** (إمانويل كانط، 1997، صفحة 142) كأن الحالة النفسية الآتية من هذا المشهد تعبر عن روح "نعم" التي تحمل معها خيبة أمل وذات مهزومة لم تكلف نسفها التفكير في محاولة كسر مظاهر الخوف والكسل هذا أيسر عليها من أن تقطع مسافات طويلة راجيا فيها العودة إلى ذاتها،فالأوهام النفسية من عدم القدرة و التخوف هما مكمن المحن والأزمات التي تجعل ذواتنا تتخبط بين المتخيل و الواقع، فلاهي قادرة على بناء جسور التفاهم مع نفسها كما يتطلبه الواقع ولا هي قادرة على إيجاد ممكنات التوافق بين ما تأمله وبين ما يجب عليها أن تكونه مما يدخلها في معركة نفسية مليئة بالأوهام والضغوطات ، بحيث القدرة على تجاوز هذه الحرب الذاتية هو أفضل مكسب تاريخي يمهد لبداية إنسانية متنورة ومستقلة فكريا ، لا سلطة ولا قرار فيها إلا للعقل الحر

الذي يناهض كل محاولة تبطل المجهود الذاتي في تصميم التوجهات الفكرية والحياة العملية ، إن هذا اللقاء بين الجانب الفسلفي والبعد السيكولوجي في براديغم موحد لم يكن ترفا فكريا من كانط الفيلسوف وصاحب كتاب نقد العقل الخالص ، فأن يعلق مسألة الأنوار بتحلي الإنسان بالجرأة والشجاعة على استعمال العقل والتحرر من العوائق السيكولوجية ليس إلا توسيعا لآفاق فلسفته العملية ، هذه الأخيرة التي تعكس ضرورة العزم على خوض معركة ضد عوائقنا السيكولوجية والتي ستتوج لا محال بإمكانية الفصل بين الإستغباء وإرادة الإستغباء وأن هذا التجاوز لن يكون إلا بالعقل المنطقي .

ما أراد كانط أن ينبه له في خطاب الأنوار وضع خطير رغم أنه يبدو في غاية البساطة والمألوف ، فما قد يفعله الجبن والكسل بالإنسان قادر على أن يحطم تاريخ البشرية بأكملها ، وهي مسألة متداخلة الأبعاد ارتبطت بنمط الوجود الإنساني على اختلاف أعراقه، بحيث أنه كابد أنواع الاستبداد والاضطهاد بسبب خضوعه لأوهامه النفسية المتمثلة في عقدة الرضا بسبب الخوف أو سيطرة الأوهام على النفس فتجعلها تفلت من القدرة إلى عدم الرغبة والعزوف أو ما يمكن أن نسميه الخداع الكاذب ، في هذا السياق نفسه كشفت الفلسفة النيتشوية عن المخاطر التي يجنيها الإنسان من الخضوع لهاذين الوهمين بوصفها يعطلان إرادة القوة **في الذات البشرية ، وبعيدا عن التنميقات الروائية والدرامية الفضفاضة التي خيمت على هذه الفكرة فهي تعبر عن خطوة ذكية وجريئة في الوقت نفسه لأننا نستشعر راهنية نيتشه من خلال هذه الالتفاتة الأشد هدما للدوافع النفسية الوهمية التي لا تصدق على صعيد الحياة الواعية للإنسان على نحو مماثل لما عرضه وفصله خطاب الأنوار بخصوص مسألة العواقب الوخيمة التي ستجنيها البشرية إذا خضعت لعوائقها السيكولوجية (فردريك نيتشه، 1938، صفحة 10،11) . هذه التوترات النفسية التي تتصارع فيها الهو مع الأنا الواعية إلى حد التمزق تخترق خطاب الأنوار بحيث يصبح التصريح بالحقيقة لحظة عدائية ومرغوب فيها بشدة، إن إرادة الحقيقة العارية هي تمزيق لأعماق العوائق السيكولوجية وخروج من العجز والقصور الذي أذنبته في حق نفسها ، في هذا الصدد نتجه إلى تفكيك دلالة النزعة النفسية وعلاقتها بالفلسفة العملية إذ وجدنا أن المسألة ترتبط بشكل واضح بالتفكير بأنفسنا

هذه المعطيات ستساعدنا في الإحاطة بالمهمة التي رسمنها لأنفسنا ونحن نبني مناصب هذا العمل الذي تصبح الحياة بموجبه إرادة وتمثلا .

2.3 دور التفكير الحر في تأسيس فلسفة عملية وعصر الحداثة:

تتحقق هذه العملية المنشودة للعقل الأنواري في الثورة الفكرية التي تكون كفيلة بوضع حد لما أفسده السبات السيكولوجي هذا ما توجت به أركيولوجيا الفكوية من خطاب الأنوار، التي وقفت على صياغة الآنية التي عبر عنها كانط وهي صياغة بإمكانها أن تحدث في الوقت الراهن إذا توفرت شروطها، والتي يمكن إجمالها في إعادة النظر في مشكلات العصر غير المفكر فيها، ربما هذه المسألة بالتحديد هي من جعلت فوكو يقف عند نقطة التنوير والثورة ويعتبرها أمرا في بالغ الأهمية لا يجب التعامل معها على نحو ما حدث من المحاولات الفكرية الأخرى لكانط، لأن هذه النقطة بتحديد من شأنها أن تحول مسار تاريخي برمته ،لأنها مسألة متعلقة بالحاضر والتي توحي إلى أننا يجب أن نتغير الآن ، كما تحدد انتماءا يخص "النحن " في إطار مبدأ كونية الجنس البشري الذي لا يعترف بالفر وقات والاختلافات الجغرافية والعرقية ، بمعنى دخول الإنسانية إلى عصر الحداثة هو الحدث المرتقب في أي لحظة آنية عن طريق التحمس للقيام بثورة ، والأهم من هذه المرحلة الانتقالية أننا سنفاجئ بالنوع الذي يطالبه به خطاب الأنوار في الثورة و الذي لا يحرج عن ثورة فكرية تعمل على فهم الواقع ثم تغيره وحل مشاكله، لأن المعنى الدقيق لمفهوم الثورة هو الإصلاح ، واستئناف الانطلاق في التجرؤ على استعمال العقل ، فمثلما تحتاج الثورة إلى العف والقوة من أجل وضع حد للأنظمة المستبدة المتعطشة للنفوذ والثروة ،لكن استبداد العقول أخطر بكثير هنا يكون الإصلاح الحقيقي هو تغيير نمط التفكير أي أن الثورة الفكرية هي البرنامج الأمثل للتفكير في ذواتنا الذي يقتضي الحرية الفكرية ، وهي حرية غير عنيفة لكنها تملك مفعولا ثوريا بإمكانه أن يغير خارطة العقل البشري . (ميشال فوكو، 1984، صفحة 71،70)إن الحرية الفكرية هي الضامن الشرعي لسيادة الإنسان كأن كانط يعول على المثقف في ثورنة العقول ، لما تحمله من أمل لتقدم البشرية بل هي التقدم التنويري في حد ذاته ، مدام العقل الثائر قد أدرك ضرورة الخروج من حالة القصور إلى الرشد والحرية ، هذا يعني أنه قد نجح أخيرا في التجرؤ على

استعمال العقل في الإطاحة بالاستبداد الشخصي ، من أجل استرجاع إنسانيته المسلوبة لتصبح الأنوار ترادف سياقات مفاهيمية منها الحرية ، الاستقلالية ، الإرادة ...إلخ .

لايمكن تصور هذه الفلسفة العملية بدون أخلاق بل هي الميدان الخصب لتطبيقها فالإنسان المتنور هو متخلق بالضرورة فالأخلاق هي من تجعله هذا الحال، فعندما عمل كانط على صياغة قانون أخلاقي قائم على مبدأي الإرادة الخيرة والواجب الأخلاقي كان مدركا لحاجة الإنسان الأنواري لمثل هذا القانون ، فلم يتأخر عن تحديد الإطار العام لنمط شخصية هذا الإنسان ،وكان مدركا أيضا لما يمكن للضمير الإنساني أن يفعله خاصة إذا تعلق الأمر بمخاطبة الوجدان والتأثير عليه " **افعل تبعا للقاعدة التي يمكن في عين الوقت أن تبني في ذاتها قانون كلي** " (إمانويل كانط، 1991، صفحة 268).إن التنوير كما يراه كانط هو محاولة لبناء حضارة إنسانية متحررة، فالصورة التي تقدمها هذه الدلالة هي واضحة المسار بحيث أن الحرية لا تكون إلا بمدى قدرتها على ترسيخ مبدأ الالتزام في طبيعة الإنسان ، وجعله المشرع الأول في بناء قواعدنا السلوكية ، فالتنوير الحقيقي هو تلك القوة الفكرية التي تدفع الجنس البشري نحو غايات أخلاقية ، وهي تربية تضمن مسار التقدم البشري مادمت تربية قائمة على التعامل مع القيمة الأخلاقية كغاية إنسانية ،هكذا يصبح مفهوم الإنسان مؤسس على الأخلاق. ومفاد الفلسفة العملية من منظور هذه المناظرة الفلسفية تتمثل حين نرسم لأنفسنا مسلمات الإرادة وتجسديها في الواقع والجانب الممارساتي بالقدرة على جعل أفعالنا أخلاقية تتجه نحو الخير الذي لا يمكن أن يكون وسيلة إرضاء ميولات و رغبات ذاتية بقدر ما يكون غاية في حد ذاته لها كيانها الخاص الذي لا ينفصل عن الإرادة الإنسانية .

يوجد تلازم جوهري بين التربية والأخلاق بلا منازع " **فالأنوار تتوقف على التربية كما تتوقف الأنوار بدورها على الأنوار (...) والتربية لا تتم إلا بالترويض ، فالأهم قبل كل شيء أن يتعلم الأطفال كيف يفكرون** "،فبلوغ الأنوار مرهون بإرادة الإنسان فحسب، من خلال الامتثال لتربية أصيلة متشبعة بالقيم والمبادئ الأخلاقية هذا ما يجعل التربية مشروع لا يتأسس على مجهود فردي خاص ، بقدر ما يتطلب مهمة ومسؤولية جماعية تسمو وتطمح إلى الكمال الأخلاقي. (إمانويل كانط، 2005، صفحة 17)إن هذه التربية الأخلاقية لا تنفصل عن التفكير العقلاني هذا ما يجعلها أكثر عملية التربية في حد ذاتها فلسفة عملية متينة الأركان ، ونلمس هذا في ما تضمنته

علاقة الأنوار بالتربية كما وضحها كانط والتي يبدو أنها لا تنحصر في تكوين أطفال وفق متطلبات الواقع من أجل النجاح في حياتهم بقدر كما يريد أوليائهم بقدر ما هي ميزة إنسانية ينبغي لأن تساعدنا في تكوين أفراد قادرين على استخدام حرية تفكيرهم الخاص كرؤية مستقبلية لمميزات عصر التنوير والحداثة، لأن هذه الطريقة وسيلة فعالة بإمكانها أن تزرع في الطفل كيفية الثقة في استقلاليته وحريته الفكرية في إطار الحدود التي لا تتعارض مع حرية الآخرين .

إن خطاب الأنوار سؤال مصيري يبحث في أنطولوجيا الإنسانية ويبشر بإمكانية خروج البشرية على نحو تدريجي من عصر تاريخ ودخول إلى عصر التقدم والحداثة الفكرية ، وإن لم يكون رغبة أصبح مفروضا يحكم حلول عصر التنوير والحداثة ، هذه الخطوات الإجرائية تفيد أن التاريخ البشري هو تاريخ ستحسن بصفة تدريجية ووفق مراحل أهمها وضع الثقة في العقل البشري لقدرته على معاينة مشاكل الإنسانية والبحث عن حلول لها، ولم يكن هذا التفسير الكانطي يعبر عن أي جهوية أو مركزية وهذا يبدو واضحا وجليا من خلال توظيفه للفظ " **جمهور** " التي تدخل في سياق الجماعات البشرية على اختلاف أجناسها وأعراقها " **أما أن يُنور جمهور ذاته، فهذا بالأحرى ممكن، بل إنه تقريبا أمر محتم إذا كان هذا الجمهور متمتعا بالحرية** " (إمانويل كانط، 1997، صفحة 148)إن التاريخ من هذا المنطلق يعتبر مغامرة يقودها العقل الحر ، فهو يستطيع ترتيب لأحداث له وفق مقاصد وأهداف بعيدة المدى ، ليصبح الإنسان صانع التاريخ وفي الوقت نفسه يكون هذا التاريخ هو تاريخ كفاح للعقل الحر من أجل الحفاظ على استقلاليته و تحقيق تقدم للتاريخ البشري .

يصب خطاب الأنوار في مسألة الإنسان من الكثير من الجوانب بوصفه المركز الذي تتأسس عليه فلسفة العمل ، وتتمظهر هذه المركزية أكثر في قضية التاريخ وعلاقته بالإنسان الذي يعتبر محرك بالمبادئ المواطنة العالمية والتاريخ الكوني الذي يقوده التقدم المتفائل بمستقبل أفضل للبشرية نابع من الثقة في قدرة الإنسان على بناء التاريخ وقيادته نحو قيم التسامح وثقافة العيش المشترك ، ومدام التاريخ يحكمه مبدأ الكونية هذا يعني اختفاء كل الصور الجزئية التي تنظر للتاريخ البشري من زاوية الاختلاف العرقي ، أو أي تميز مهما كان نوعه ،لأن الحديث عن كونية التاريخ

يدخل في حتمية الطبيعة التي لا يمكن أن نتصورها خارج أو بعيدا عن النظام والحتمية اللذان يُسيران الظواهر، كذلك تاريخ البشرية فهو على نحو سيرورة حتمية نحو التقدم والكونية العالمية كشروط أساسية التي بإمكانها أن تنظم وتسير الاجتماع البشري بحيث تكون حرية الإرادة هي التمظهر الرئيسي في هذه الكونية والنظام وفي هذا الصدد يصرح كانط " ***إن المشكل الأكبر بالنسبة للنوع البشري والذي أرغمت الطبيعة الإنسان على حله هو التوصل إلى مجتمع مدني يحكم الحق على نحو كلي*** " (إمانويل كانط، صفحة 07).لقد راهن كانط كثيرا على مبدأ الكونية في مناسبات فلسفية كثير نخص منها بالذكر الأخلاق ، المعرفة ليجد فرصة ثمينة من نوعها في ميدان التاريخ كمجال خصب لتوطيد قاعدة هذه الكونية التي نادى بها في فلسفته ، بغية أن يجعل منه بمثابة قانون كامن في جوهر التاريخ الإنساني لأنه وحده القادر على تحديد المسار التاريخي للبشرية حسب ما يقرره العقل من غايات وأهداف ، لأن الإنسان هو المسؤول الأول والفعلي عن بناء التاريخ .

4. خاتمة:

لقد تضمن خطاب الأنوار مضامين وأبعاد تاريخية، فلسفية، إنسانية عميقة و مهمة لا يقل شأن أحدها عن الآخر, إلا أن تأسيس فلسفة عملية كان أمر ملفت للانتباه في ظل هذا الخطاب الذي حمل الكثير من المدلولات التي تدخل في سياق فلسفة عملية سواء من الجانب الفردي أو الجماعي، هذه الفلسفة التي تتطلب الفصل بين العمومية والخصوصية في حرية التفكير كمطلب أساسي وتراهن على الأخلاق كقاعدة متينة لها ، هذه القاعدة التي بإمكانها أن تجعل من مبادئ العيش المشترك كواجب أخلاقي ، كما لا تفوتنا الإشارة إلى تمظهرات هذه الفلسفة في مجال التاريخ بحيث يكون الإنسان هو من يفكر في بناء التاريخ ويحركه نحو عصر التنوير والحداثة للجنس البشري برمته، من هذا المنطلق يعتبر الإنسان مقياس كل شيء مادامت الحداثة وتاريخها المنشود مشروط بالحرية الفكرية للعقل البشري .

5. قائمة المراجع:

- Immnanuel Kant. (2015). *Betwortung der fage was its Auklärung* (01 Ausg.). Deutshland : aufmachumg aurheberrechtlich geschützt.
- إمانويل كانط.تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق،تر:محمد فتحي الشنيطي، *دار موفم ،الجزائر* ، الجزائر .د(ط)،1991.
- إمانويل كانط. *ثلاث نصوص "تأملات في التربية "* تر : محمود بن جماعة ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ط1، 2005.
- إمانويل كانط. *فكرة عن تاريخ كوني.* تر :محمد منادي إدريسي،مؤسسة دراسات وأبحاث مؤمنون بلا حدود ،أكدال المملكة المغربية،(دط،س).
- فردريك نيتشه. *هكذا تكلم زرادشت* ،تر:فليكس فارس، مطبعة جريدة البصير، الإسكندرية.د(ط)،1938.

المقالات:

- إمانويل كانط. ما الأنوارن تر :إسماعيل مصدق ، مجلة فكر ونقد ، العدد 04،1997 .
- ميشال فوكو،كانط والثورة ، تر : يوسف صديق،مجلة الكرمل،العدد1984،13.

الهوامش :

*ورد هذا النص باللغة الألمانية كالأتي :

Habe Mut, dich deines eigenenVerstandes zu bedienen, ist also der Wahlspruch der Aufklärung"

ارتبطت فكرة إرادة القوة في الفلسفة النيتشوية بالكلمة الألمانية Übermensch **والتي تعني الإنسان الأعلى أو الإنسان الخارق وعبرت أن إرادة القوة التي تصاحب الذات البشرية هي من تجعل الإنسان متفوق نفسيا ، فكريا ، روحيا ، وقد أولى نيتشه اهتماما بالغا بهذا التصور في كل توجهاته الفكرية ابتداء من " هكذا تكلم زرداشت ، غروب الأوثان ، ما وراء الخير والشر، جينالوجيا الأخلاق ، وهذا يدل على أن فكرة إرادة القوة شكلت فلسفة بأكملها .

GÖTZ SHREGLE –DEUTSCH –ARABISCHES WÖRTERBUCH, MACDONALD &EVANS LTD LOLNDON ,1977,P1241.